

## منهجية النقاد القدماء في تفضيل الشعراء أنموذج: الأصمعي وابن سلام

إعداد: د. أسامة السيد محمد، كلية اللغة العربية، جامعة الإنسانية، قدح، ماليزيا

## تمهيد

يهدف هذا البحث إلى تحديد الأسس التي وضعها اثنان من قدماء النقاد في تفضيلهم للشعراء، وهما عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت 216 هـ) ومحمد بن سلام الجمحي (ت 231 هـ). واعتمدنا على كتابيهما، (سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ورده عليه - فحولة الشعراء -) وكتاب طبقات فحول الشعراء. وكما هو جلي فإن كلمة " فحولة " وردت في عنواين الكتابين مما يدل على اهتمام الناقلين بهذا المبدأ في التفضيل.

أما الكتاب الأول فهو صغير الحجم وهو عبارة عن رسالة ويتضمن كما هو واضح من عنوانه الإجابة عن الأسئلة التي طرحها أبو حاتم السجستاني على أستاذه الأصمعي عن الشعراء الجاهليين والمخضرمين من هو الفحل ومن هو غير الفحل ، وقد حدد الأصمعي منهجه والأسس التي بموجبها حدد الشاعر الفحل من غيره.

أما ابن سلام فيعتبر كتابه أول كتاب وصل إلينا في النقد حيث حدد مهمة الناقد وأهمية وجود الناقد البصير بالشعر، أما منهج ابن سلام في تفضيل الشعراء فواضح أنه اهتم بوضع الشعراء في طبقات، كما أنه شمل بتصنيفه ذلك الشعراء الجاهليين والإسلاميين عكس الأصمعي الذي لم يتكلم عن الإسلاميين،

لكنه لم يضع المحدثين أو المعاصرين له في طبقاته ومن ثم لم يدخل كل شعراء العصر العباسي في هذا التصنيف.

وربما كان النقاد القدماء في فترة ما يتحرجون من القول في معاصريهم ، لكن بعد حين زال عنهم ذلك الحرج وخاصة عندما تأتي إلى القرن الرابع ، وقد آثرت أن يقتصر هذا البحث على هذين الناقلين لأن اسهاماتهما من تعدد من أقدم الإسهامات في تاريخ النقد الأدبي عند العرب ولأن لهما قصب السبق في القول في هذا المجال .

### الأصمعي ومقياس الفحولة

الفحل الذكر من الحيوان كما جاء في المعاجم <sup>١</sup> ولقب به علقمة من شعراء الجاهلية لأنه تزوج بأمة جندب لما طلقها امرؤ القيس، حين غلبته عليه في الشعر. وقيل سمي فحلا لأنه عارض امرأ القيس في قصيدته:

خليلي مرا بي على أم جندب ... البيت

بقوله:

ذهبت من الهجران في غير مذهب ... البيت <sup>٢</sup>

<sup>١</sup> راجع القاموس المحيط وتاج العروس مادة ( فحل ) .

وفحولة الشعراء الغالبون بالهجاء من هاجاهم وكذا كل من إذا عارض شاعرا فضل عليه ومثال ذلك تفضيل علقمة على امرئ القيس، فقد كان كل واحد منهما يعارض صاحبه في وصف فرسه، وفحول الشعراء الغالبون بالهجاء من هاجاهم مثل جرير والفرزدق وكان يقال لهما فحلا مضر<sup>٣</sup>.

ولعل الأصمعي لم يبتكر هذا المصطلح فقد كان شائعا في البيئة الجاهلية وشاهد ذلك ما ذكرناه من أمر علقمة وامرئ القيس، وعندما سأله أبو حاتم السجستاني عن معنى الفحل قال: "يريد أن يكون له مزية الفحل على غيره من الحفاق"<sup>٤</sup> وقد استشهد الأصمعي بيت جرير:

وأين اللبون إذا ما لذ في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس<sup>٥</sup>  
فالبازل البعير الذي فطر نابه أي انشق وذلك حينما يكمل الثامنة ويطعن في التاسعة، وابن اللبون ما أكمل سنتين وطعن في الثالثة وهو ضعيف بحيث أنه لا يستطيع مصاولة البازل.

ولكن ما الأسس التي وضعها الأصمعي ليحكم بما على هذا الشاعر بأنه فحل وعلى ذلك بأنه ليس بفحل؟ حقيقة إن الأصمعي وضع لذلك معايير وأساسا أهمها كثرة الشعر وجودته وصحته فضلا عن فصاحة الشاعر.

٢ نفسه مادة ( فحل ) .

٣ نفسه مادة ( فحل ) .

٤ سوالات أبي حاتم ص ٢٠ .

٥ نفسه ص ٣٠ وانظر ديوان جرير ص ١٢٨ .

## 1) الكثرة

عندما سئل الأصمعي عن فحولة الحويدرة قال: لو قال مثل قصيدته خمس قصائد كان فحلا، يريد العينية ومطلعها:

بكرت سيمة بكرة فتمتع      وغدت غدو مفارق لم يرجع<sup>٦</sup>

والجودة وحدها لا تشفع فالقصيدة الواحدة الجيدة لا تجعل من الشاعر فحلا وكذلك لم يصف مهلهلا بالفحولة مع أنه أجاد في قصيدته:

أليلتنا بذى حسم أنيري      إذا أنت انقضيت فلا تحورى

قال: " لو قال مثلها كان أفحلهم " <sup>٧</sup> وقال عن كعب الغنوي: هو فحل في المرثية فإنه ليس في الدنيا مثلها يريد قوله في رثاء أخيه:

تقول ابنه العبسى قد شبت بعدنا      وكل امرئ بعد الشباب يشيب

وقوله (فحل في المرثية) فيه نظر لأن القصيدة الواحدة الجيدة لا تجعل من الشاعر فحلا حسب ما قرر هو من قبل.

## 2) صحة الشعر

يبدو أن مسألة الفحولة تحل الشعر التي أثارها ابن سلام في كتابه "طبقات فحول الشعراء" لها جذور عميقة عند من سبقوه أو عاصروه ومنهم الأصمعي، فالشعر المشكوك في صحته يقف حائلا بين صاحبه وبين الفحولة. فمن الأشياء التي حالت بين كعب الغنوي وبين الفحولة غير قلة قصائده هو أن له شعرا شك

<sup>٦</sup> سوالات أبي حاتم ص ٤٠ .

<sup>٧</sup> نفسه ص ٤١ .

الأصمعي في صحته قال " ليس بفحل ولا مفلح وقد أعيايني شعره لأن ولده كانوا يزيدون في شعره " ٨. وسبق أن أشرنا إلى أن قوله (فحل في المرثية) فيه نظر فها هو الآن ينفي عنه الفحولة تماما.

مع أنه يتفق مع غيره في إثبات فحولة امرئ القيس إلا أن ذلك لم يمنعه من القول إن كثيرا من شعر امرئ القيس لصعاليك كانوا معه ٩. وسنرى لاحقا أنه تردد في تقديم امرئ القيس على النابغة. وكذلك ذكرنا أنه أثنى على قصيدة مهلهل:

أليلتنا بذي حسم أنيرى ...

إلا أنه عاد وقال ان كثيرا من شعر مهلهل محمول عليه ١٠، وكذا وصف الأغلب العجلي أن ولده كانوا يزيدون في شعره حتى أفسدوه ١١. وفيما بعد اهتم ابن سلام بهذه القضية وجعلها نصب عينيه إذا أراد تفضيل أي شاعر كما فعل الأصمعي.

### (3) جودة الشعر

قال أبو حاتم: وسألته (الأصمعي) آخر ما سألته قبيل موته من أول الفحول؟ قال: النابغة الذبياني ثم قال ما أدري في الدنيا لأحد مثل قول امرئ القيس:

٨. سوالات أبي حاتم ص ٤٤ - ٤٥ .

٩. نفسه ص ٣٤

١٠. نفسه ص ٤١ .

١١. نفسه ص ٤٥ .

وقاهم جدهم بيني أبيهم  
 وبالأشقين ما كان العقاب  
 وقال عن امرئ القيس: "أولهم كلهم في الجودة وله الخطوة والسبق وكلهم  
 أخذوا من قوله واتبعوا مذهبه" ١٢ ويبدو أن هذا الرأي هو ما مات عليه  
 الأصمعي إذ أن بعض النقاد القدماء قد تجد تعارضا بين آرائهم في بعض  
 الأحيان. وكما ذكرنا فقد تردد في هذا الأمر أ يخالف عامة العلماء ويقدم النابغة  
 على امرئ القيس أم يسايرهم ويقدم امرأ القيس؟ ولعله ثبت على تقديم امرئ  
 القيس لجودة شعره وسبقه للشعراء في أشياء فضلها النقاد فيما بعد ومنهم ابن  
 سلام كما سنرى لاحقا. ولكي ندلل على ما سبق نذكر فيما رواه أبو حاتم أن  
 رجلا سأله: أي الناس طرا أشعر؟ قال: النابغة، قال: ما تقدم عليه أحدا؟ قال:  
 ولا أدركت العلماء بالشعر يفضلون عليه أحدا" ١٣. وقد نقبل أنه عاد في آخر  
 عمره حسب ما ذكر أبو حاتم لتفضيل امرئ القيس على غيره ولم يذكر أبو حاتم  
 العلماء الذين فضلوا النابغة، والقول في هذا هو ما قاله ابن سلام من أن أهل  
 الحجاز والبادية يقدمون زهيرا والنابغة وأهل الكوفة يقدمون الأعشى ١٤. فمن  
 العسير أن تتفق أذواق الناس وتستقر على شاعر واحد فكل شاعر له أسلوبه  
 وطريقته وهذا ما فطن إليه النقاد لاحقا.

١٢ سوالات أبي حاتم ص ٣٠ .

١٣ نفسه ص ٣١ .

١٤ طبقات فحولة الشعراء ٥٢/١ .

والواضح أنه يفضل النابغة على غيره من فحول شعراء الجاهلية غير امرئ القيس الذي تردد في أول أمره في تفضيله على النابغة ثم استبان له الأمر آخر عمره، لكن تفضيل النابغة على غيره واضح جلي فقد فضله على زهير قال: "ما يصلح زهير أن يكون أجيرا للنابغة" ١٥، وقوله: "أوس بن حجر أشعر من زهير ولكن النابغة طأطأ منه" ١٦.

وتفضيل الأصمعي للنابغة ليس تفضيلا مطلقا فهو قد أجاد في بعض الأغراض وأخفق في البعض الآخر كنعث الخيل مثلا فالأصمعي يرى أن طفيلا الغنوي أفضل من النابغة في هذا الغرض ١٧.

والأمر مختلف بالنسبة إلى الأعشى فهو وإن اعتبره ابن سلام من الفحول ووضعه في الطبقة الأولى ١٨ إلا أن الأصمعي قال إن الأعشى ليس بفحل ١٩، وجعل علقمة بن عبدة والحارث بن حلزة والمسيب بن علس وحسان بن ثابت وقيس بن الخطيم والمرقشان الأكبر والأصغر وعمرو بن قميئة كلهم من الفحول ٢٠، وكان أبو حاتم يرى شيئا من الغرابة في رأي الأصمعي في الأعشى فقد قال: "كان أهل الكوفة يقدمونه وكذا خلف الأحمر لأنه قد قال في كل عروض وركب

١٥ سؤالات أبي حاتم ص ٣١ .

١٦ نفسه ص ٣٢ .

١٧ نفسه ص ٢٤ .

١٨ طبقات فحولة الشعراء ٦٥\١ .

١٩ سؤالات أبي حاتم ص ٣٧ .

٢٠ نفسه ص ٣٧ - ٣٩ .

كل قافية" ٢١ فالكثرة وتعدد الأغراض كله متوفر عند الأعشى وتبقى مسألة الجودة ويبدو أنها لم تتوفر للأعشى عند الأصمعي.

#### (4) العصر

ونقصد به العصر الجاهلي، والفحولة أمر خاص بالجاهليين أو المخضرمين أمثال حسان بن ثابت وغيره، ولذا حجب الأصمعي الفحولة عن الإسلاميين، قال عن جرير والفرزدق والأخطل: "لو كانوا في الجاهلية لكان لهم شأن ولا أقول فيهم شيئاً لأنهم إسلاميون" ٢٢. إلا أن ذلك لم يمنعه من إبداء رأيه فيهم، فقد كان يفضل جريراً على الفرزدق وعندما سئل عنهم أنشد أبياتا للأخطل منها قوله:

لعمرى لقد أسريت لا ليل عاجز  
بساهمة الخدين ضاوية القرب

وقال: "من قال لك أن أحدا في الدنيا قال مثلها قبله ولا بعده فلا

تصدقه" ٢٣. وقد كان بعض النقاد القدماء ربما فضلوا شاعرا لبيت أو أبيات قالها، لكن الأصمعي لم يفضل الأخطل على صاحبيه تفضيلاً مطلقاً وإنما أراد أن هذه الأبيات لم يقل أحد مثلها ويظل هو على تفضيله لجرير حسب ما نفهم من الرواية.

#### (5) الفصاحة

٢١ نفسه ص ٤٠ .

٢٢ سوالات أبي حاتم ص ٤٣ .

٢٣ نفسه ص ٤٤ .



تعتبر الفصاحة الركن الأهم في إثبات فحولة الشاعر ولذلك لم يقل الأصمعي في الإسلاميين حسب ما رأينا من قبل. فاللغويون وعلماء الشعر يعتقدون اعتقادا راسخا أن العرب بعد الفتح الإسلامية وبعد تفرقهم في الأمصار لن تكون لغتهم بمثل ذلك الصفاء والنقاء الذي كانت عليه عندما كانوا يقبعون في باديتهم دون الاختلاط بالأعاجم. فالأصل في أهل البادية الفصاحة ولا تجد تلك الفصاحة عند الأعاجم والمولدين إلا نادرا وقد أورد الأصمعي أسماء بعض الفصحاء من غير العرب أمثال زياد الأعجم وسحيم عبد بن الحسحاس وأبي دلامة وأبي عطاء السندي<sup>٢٤</sup>. أما المولدون فقد ذكر منهم عمر بن أبي ربيعة قال: مولد وهو حجة<sup>٢٥</sup>. ومنهم فضالة بن شريك الأسدي وعبد الله بن الزبير الأسدي وعبيد الله بن قيس الرقيات، قال: هؤلاء مولدون وشعرهم حجة<sup>٢٦</sup>. أما الكميت والطرماح فهما مولدان ولكن شعرهما ليس حجة، كأنما نفى عنهما الفصاحة وأثبتها لذي الرمة وهو بدوي<sup>٢٧</sup>. ومجمل القول أنه لا فحولة للإسلاميين بدويين أو غير بدويين وإنما استعاض عنها بلفظ (فصيح) فإن كان الشاعر فصيحاً كثير الشعر جيده فما يمنع أن يكون فحلاً؟

---

٢٤ نفسه ص ٥٥ - ٥٦ .

٢٥ نفسه ص ٥٦ .

٢٦ سوالات أبي حاتم ص ٥٧ .

٢٧ نفسه ص ٦٩ .

ويجب أن لا يغيب عن بالنا أن هناك أشياء تحول بين الشاعر وبين الفحولة حسب رأي الأصمعي منها ميل الشاعر إلى الهجاء فقد يكون الشاعر كثير الشعر جيدة لكنه إذا مال للهجاء أثر ذلك فيه فقد وصف الشماخ بأنه فحل وكذلك أخوه مزدد فحل مثله لكنه أفسد بما يهجو الناس ٢٨. وليس الأعشى وحده ممن نفى عنه صفة الفحولة فقد نفاها كذلك عن ليبد بن ربيعة وهو من شعراء المعلقات، قال أبو حاتم: "وقال عن ليبد بن ربيعة (كان رجلا صالحا) كأنه ينفي عنه صفة الفحولة" ٢٩. ونختم القول بما أورده ابن رشيقي يروي عن الأصمعي قوله: "ولا يصير الشاعر في فريق الشعر فحلا حتى يروى أشعار العرب ويسمع الأخبار ويعرف المعاني وتدور في مسامعه الألفاظ وأول ذلك أن يعلم العروض ليكون ميزانا له على قوله، والنحو ليصلح به لسانه وليقيم إعرابه والنسب وأيام الناس ليستعين على ذلك بمعرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم" ٣٠ وحري بهذا القول أن ينسب لابن رشيقي لا الأصمعي فهو إنما أراد أن يوضح معنى الفحولة وهي غامضة بعض الشيء عند الأصمعي وأن يتوسع فيها، فما معنى تعلم النحو والعروض عند الجاهليين والفحولة عند الأصمعي أمر خاص بالجاهليين.

محمد بن سلام والطبقات

٢٨ نفسه ص ٤٠ .

٢٩ نفسه ص ٥٠ .

٣٠ العمدة ١٣٢١١ .

اتبع محمد بن سلام الجمحي (ت 231 هـ) مقياساً آخر وهو مقياس الطبقات وقد وضع وفصل أسباب تقدم الشاعر وأسباب تأخره. وقد وضع امرأ القيس وزهيرا والأعشى والنابغة في الطبقة الأولى من فحول شعراء الجاهلية ولم يزعم أنه تفرد بذلك أو أنه كان المبتكر لهذا التصنيف، فقد سبقه إلى ذلك عدد من العلماء قال: "ثم اقتصرنا بعد الفحص والنظر والرواية عن مضي من أهل العلم إلى رهط أربعة اجتمعوا على أنهم أشعر العرب طبقة ثم اختلفوا فيهم بعد" ٣١ والاختلاف يرد إلى أذواق الناس وذلك لاختلاف طريقة الشعراء وقد وضع ذلك بقوله إن أهل الكوفة كانوا يفضلون الأعشى فيما يفضل علماء البصرة امرأ القيس أما أهل الحجاز والبادية فكانوا يقدمون زهيرا ٣٢. ولم يشذ من هؤلاء العلماء إلا عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي الذي كان يفضل مرقشا وقد تعجب يونس من ذلك وكذلك ابن سلام ٣٣.

وقد أورد ابن سلام أقوال من قدموا امرأ القيس ويبدو أنهم متفقون على أنه أولهم وأفضلهم فقد سئل الفرزدق عن أشعر الناس فقال: ذو القروح، قيل: حين يقول ماذا؟ قال: حين يقول:

وقاهم جدهم بيني أيهم  
ويا لأشقين ما كان العقاب ... ٣٤

٣١ طبقات فحول الشعراء ٥٠/١ .

٣٢ نفسه ٥٢/١ .

٣٣ نفسه ٥٢/١ .

٣٤ نفسه ٥٣/١ .

والراجح أن ابن سلام لا يقبل تفضيل الشاعر تفضيلاً مطلقاً ولكن في أبيات أو قصائد محددة وهذا ما يتفق مع النقد الصحيح. وقد فضل امرأ القيس من شعراء الجاهلية لبيد بن ربيعة<sup>٣٥</sup>. وقد بين ابن سلام أسباب تفضيله قائلاً: "سبق العرب إلى أشياء ابتدعتها واستحسنتها العرب واتبعه فيها الشعراء، استيقاف صحبة والبكاء في الديار ورقة التسبب وقرب المأخذ، وشبه النساء بالبيض وشبه الخيل بالعقبان والعصى وفيد الأوابد وأجاد في التشبيه وفصل بين النسب والمعنى (لا يخلطه بصفة ناقته أو فرسه أو صيده)<sup>٣٦</sup> وقال أيضاً " كان أحسن أهل طبقتة تشبيهاً "<sup>٣٧</sup>. وهذا دليل آخر على أن ابن سلام إنما يقبل تفضيل الشاعر وفقاً لأشياء محددة.

أما النابغة فقد قال عنه: "كان أحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام وأجزلم بيتاً كأن شعره كلام ليس فيه تكلف..."<sup>٣٨</sup>. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ممن فضل النابغة لقوله:

ولست بمستبق أخا لا تُلْمُهُ  
على شعث أي الرجال المهذب<sup>٣٩</sup>

<sup>٣٥</sup> طبقات فحول الشعراء ٥٤/١ .

<sup>٣٦</sup> نفسه ٥٥/١ .

<sup>٣٧</sup> نفسه ٥٦/١ .

<sup>٣٨</sup> نفسه ٥٦/١ .

<sup>٣٩</sup> نفسه ٥٦/١ .

أما زهير فقد قال ابن سلام عنه: "كان أحصفهم شعرا (أحكمهم وأجزلهم) وأبعدهم من سخف وأجمعهم كثير من المعنى في قليل من المنطق وأشدهم مبالغة في المدح وأكثرهم أمثالا في شعره" ٤٠ وفضله عمر بن الخطاب أيضا لأنه كان لا يعاقل بين الكلام ولا يتبع حوشيه ولا يمدح الرجل إلا بما فيه ٤١ وقد زعم ابن رشيح أن قول ابن سلام (أشدهم مبالغة في المدح) يناقض قول عمر "كان لا يمدح الرجل إلا بما فيه" ٤٢، وربما أراد ابن سلام المبالغة المستساغة كأن يصف رجلا بالكرم أو الشجاعة فيغرق في الوصف دون أن يتجاوز الحد المعقول.

أما الأعشى فقد ذكر ابن سلام "أنه كان أكثرهم عروضاً وأذهبهم في فنون الشعر وأكثرهم طويلة جيدة وأكثرهم مدحا وهجاء وفخرا ووصفا كل ذلك عنده" ٤٣. إلا أنه قال: "وكان أول من سأل بشعره ولم يكن له مع ذلك بيت نادر كأبيات أصحابه" ٤٤ سببان إذن يجعلان الأعشى دون منزلة أصحابه في الطبقة الأولى؟ التكبس بالشعر وعدم وجود البيت النادر ومع ذلك فقد قدمه غير واحد من العلماء كأبي الخطاب الأخفش وأبو عمرو بن العلاء أما خلف

---

٤٠ طبقات فحول الشعراء ٦٤١ .

٤١ طبقات فحول الشعراء ٦٣١ .

٤٢ العمدة ٨٠١ .

٤٣ طبقات فحول الشعراء ٦٥١ .

٤٤ نفسه ٦٥١ .

الأحمر فقد فضله لأنه كان أجمعهم حسب ما ذكره ابن سلام<sup>٤٥</sup>. ولم يقل إن شعره أجود من شعرهم ويريد بذلك كثرة أغراض شعره، لكن الجودة تأتي في المقام الأول وذلك حسب ما ذكره ابن سلام من عدم وجود البيت النادر في شعره ولعل هذا وغيره هو ما جعل الأصمعي ينفر من شعره ولم يضعه مع الفحول<sup>٤٦</sup>.  
تخلص من هذا إلى أن جمهور العلماء بالشعر اتفقوا على تقديم هؤلاء الأربعة فهم من أفضل الجاهليين وهم من الفحول لكن أذواق الناس تختلف فمنهم من يفضل هذا ومنهم من يفضل ذاك والنقد الحديث يجعل للذوق أهمية كبرى وهذا ما فطن إليه كثير من النقاد القدماء بعد ذلك.

وإذا نظرنا إلى شعراء الطبقات الأخرى قد لا نجد منهجا واحدا يتبعه الناقد، وربما يعزى ذلك إلى أن بعض الشعراء شعرهم كثير بأيدي الرواة وبعضهم شعره قليل وأخباره قليلة، فهو في أحيان كثيرة يدلى برأيه في شعر الشاعر وفي أحيان أخرى يذكر أخباره فقط، ولنأخذ أمثلة من ذلك ففي الطبقة الثانية مثلا يقدم أوس بن حجر على شعراء طبقته قال "وأوس نظير الأربعة المتقدمين إلا أنا اقتصرنا الطبقات على أربعة"<sup>٤٧</sup>. فالحق أن يكون أوس ضمن الأربعة المتقدمين في الطبقة الأولى وهذا يعني أنه أفضل أهل طبقته الثانية، وهذا يقودنا إلى نقد نظام الطبقات وخاصة تحديد عدد معين لكل طبقة. فنظام الطبقات نظام جيد

٤٥ نفسه ٦٦\١ .

٤٦ راجع سؤالات أبي حاتم ص ٤٠ .

٤٧ طبقات فحول الشعراء ٩٧\١ .

لكن اقتصار كل طبقة على عدد محدد أمر يجافي المنهج العلمي السليم ألا ترى أن هذا النظام وفق المنهج الذي اختاره الناقد وهو تحديد عدد الشعراء لكل طبقة أدى إلى خروج شاعر من طبقتة. ويبدو أن المسألة التي برر بها ابن سلام خروج أوس من طبقتة ليست دقيقة تماما فطالما أنه قرر أن الأعشى آخر أهل طبقتة فلماذا لا يخرج ويحل محله أوس؟ والواقع لا يقول ذلك لأن ابن سلام نفسه يقول عن أوس: "كان فحل مضر حتى نشأ زهير والنابعة فأخلاه" ٤٨ فالطبقة الأولى فيها شاعران تفوقا على أوس بل جعلاه حامل الذكر ولا يمكن أن يوضح معهما في طبقة واحدة.

أما وضعه لكعب بن زهير في هذا الطبقة فرمما يعزى لتصيدته في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وقد كساه الرسول (صلى الله عليه وسلم) برده الشريفه ٤٩ فضلا عن منزلة أبيه الذي كان راوية لأوس وكان الحطيئة راوية زهير وقد حاول الحطيئة أن يستفيد من هذه المنزلة فطلب من كعب أن يذكره في شعره قائلا:

"... فإن الناس لأشعاركم أروى وإليها أسرع" ٥٠

ويبدو أن ابن سلام كان معجبا بهذه الأسرة الشاعرة قال: "ولم يزل في ولد زهير شعر ولم يتصل في ولد أحد من فحول الجاهلية ما اتصل في ولد زهير" ٥١.

٤٨ نفسه ٩٧\١ .

٤٩ طبقات فحول الشعراء ١٠٣\١ .

٥٠ نفسه ١٠٤\١ .

وأثنى على الحطيئة من شعراء هذه الطبقة قائلا: "كان الحطيئة متين الشعر، شroud القافية وكان راوية لزهير وآل زهير إلا أنه كان جشعا سؤولا" ٥٢ إلا أن ذلك لم يؤخره عنده.

وفي الطبقة الثانية وصف النابغة الجعدي بأنه أوصف الناس لفرس، أخذ ذلك عن يونس. وقال عن أبي ذؤيب الهذلي "كان شاعرا فحلا لا غميمة فيه ولا وهن" ٥٣. وقال عن الشماخ: "كان شديد متون الشعر أشد أسر الكلام من لبيد وفيه كزازة، وليبد أسهل منه منطقا. قال: "والكزازة في شعره أي أنه قليل الماء غير لين ولا سهل" ٥٤. وعن رابعهم وهو لبيد قال: "كان فارسا شجاعا وكان عذب المنطق رقيق حواشي الكلام وكان مسلما رجل صدق" ٥٥، وقد التقى مع الأصمعي هنا في وصف لبيد بالصدق والصلاح.

ويمكن اعتبار هذه الطبقات الثلاث الأولى طبقات تضم أجود الشعراء شعرا مع كثرة شعرهم بأيدي الرواة. لكننا عندما نتقل إلى الطيقة الرابعة نجد شعرا جيدا عند شعرائها وهم فحول وموضعهم الأوائل حسب قول ابن سلام وإنما أخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة ٥٦. فهل ضاع ذلك الشعر أم أنهم مقلون

٥١ نفسه ١١٠/١ .

٥٢ نفسه ١١١/١ - ١١٣ .

٥٣ نفسه ١٢٨/١ - ١٣١ .

٥٤ نفسه ١٣٢/١ .

٥٥ طبقات فحول الشعراء ١٣٥/١ .

٥٦ نفسه ١٣٧/١ .



بطبعهم وما الذي جعلهم يقلون طالما أنهم امتلكوا المهوبة الشعرية؟ كل هذه أسئلة قد يحار المرء في الإجابة عنها، لكننا قطعاً سنحكم على ما بأيدينا من شعر قليلاً كان أم كثيراً، والذين عنيانهم بهذا القول هم: طرفة بن العبد وعلقمة الفحل وعبيد بن الأبرص وعدى بن زيد، قال ابن سلام عن طرفة إنه أشعر الناس واحدة، يريد معلقته:

لخولة أطلال ببرقة شهمد      تلوح كباقي الوشم في ظاهر البد  
وتليها أخرى مثلها هي:

أصحوت اليوم أم شافتك هر      ومن الحب جنوب مستقر

قال: "ومن بعد له قصائد حسان جيداً" ٥٧. لكنه لم يحدد عددها. أما علقمة الفحل فله ثلاث روائع جيداً لا يفوقهن شعر:  
فالأولى:

ذهبت من الهجران في كل مذهب      ولم يك حقاً كل هذا التجنب  
والثانية:

طحاً بك قلب في الحسان طروب      بعيد الشباب عصر حان مشيب  
والثالثة:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم      أم حبلها إن تأتاك اليوم مصروم  
قال: "ولا شيء بعدهن بذكر" ٥٨. أما عدى بن زيد، فله أربع قصائد  
غرر روائع مبرزات وله بعدهن شعر حسن، أولهن:

أرواح مودع أم بكور أنت فاعلم لأي حال تصير ٥٩

والأمر يختلف بالنسبة الي عبيد بن الأبرص فهو وإن كان من طبقتهم إلا أن ابن سلام قال إن شعره مضطرب ذاهب وأنه لا يعرف له إلا قوله:  
أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

قال: "ولا أدري ماذا بعد ذلك" ٦٠ ولا ندري أ يريد بعد هذا البيت أم بعد هذه القصيدة؟ وأيها كان الأمر فالواضح أنه آخر أهل طبقتهم بسبب النحل الذي اعترى شعره.

ويبدو أن مسألة كثرة قصائد الشاعر يعول عليها ابن سلام كثيرا وقد قرنها بقضية النحل فرمما يكون للشاعر عدد من القصائد لكن منها ما هو مشكوك في صحته ولهذا رفض ابن سلام ما يروى لعبيد بن الأبرص أو أكثره معبرا عن ذلك بقوله: "ولا أعرف له ما بعد ذلك" كما ذكرنا. وكذلك اعتبر الأسود بن يعفر من أصحاب الواحدة قال: "وله واحدة طويلة رائعة لاحقة بأجود الشعر ولو كان شفعا يمثلها قدمناه علي مرتبته وهي:

نام الخلى وما أحس وسادى والهلم محتضر لدي وسادى

قال: "وله شعر جيد ولا كهذه" ٦١. ألم يكن من حق هذا الشاعر أن يقدم علي طرفه الذي وضعه في الرابعة ووضعه الأسود في الخامسة لأن من له

٥٨ طبقات فحول الشعراء ١٣٩١ .

٥٩ نفسه ١٤٠١ .

٦٠ نفسه ١٣٩١ .

واحدة طويلة رائعة وشعر جيد غيرها أفضل ممن له واحدة لا يعرف غيرها. ومع ذلك لم يقبل ما روي عن المفضل الضبي أن الأسود له ثلاثون قصيدة قائلا: "ونحن لا نعرف ذلك ولا قريبا منه وقد علمت أن أهل الكوفة يروون له أكثر مما نروي ويتجاوزون في ذلك بأكثر من تجوزنا" ٦٢ والعبارة الأخيرة ربما تعزى إلى ما بين المصريين من تنافس.

ومع أنه وصف المخيل بن ربيعة بأنه له شعر جيد كثير هجا به الزبرقان وغيره إلا أنه وضعه مع المقلين وأصحاب الواحدة ومع هجائه فقد كان يمدح بني قريع ٦٣. ويبدو أن شعر المهجاء لا يجعل الشاعر متقدما حتى لو أجاد الشاعر الصنعة. وألحق بهذه الطبقة تميم ابن أبي بن مقبل وقال عنه: "شاعر مجيد مغلب غلب عليه النجاشي وعبد الرحمن بن حسان فضلا عن ذلك فقد كان جافيا في الدين وكان في الاسلام يبكي أهل الجاهلية ويذكرها وعوتب علي ذلك" ٦٤. إذن ابن سلام يعاتب الشعراء المهجائين والذين في دينهم رقة عتابا رقيقا لكن ذلك لا يؤثر عليهم كثيرا وربما يؤخرهم قليلا، المهم أنه ليس له مقياس واضح في هذه المسألة.

٦١ طبقات فحول الشعراء ١٤٧١ .

٦٢ نفسه ١٤٨١ .

٦٣ نفسه ١٥٠١ .

٦٤ نفسه ١٥٠١ .

تلك هي الطبقات الخمس الأولى وقد استعرضناها بشيء من التفصيل باعتبار أن شعراءها من أشعر شعراء الجاهلية أما بقية الطبقات فالواضح أن شعراءها متأخرون ولعل أهم سبب لذلك هو قلة شعرهم بأيدي الرواة. وقد أشار ابن سلام الي ذلك، فبعض الشعراء لهم قصيدة واحدة مشهورة وبعضهم له واحدة مع شعر آخر ليس في جودة الواحدة، فمن له واحدة عمرو بن كلثوم وهي المعلقة المشهورة، ومن له واحدة اشتهر بها مع شعر آخر يقل عنها عنزة والحارث بن حلزة وسويد بن أبي كاهل<sup>٦٥</sup>. وقلة الشعر هي ما اعتمد عليه ابن سلام تماما بوصفه أهم مقياس لتفضيل الشعراء وصرح بذلك في غير مرة قال عن شعراء الطبقة السابعة "أربعة محكمون مقلون وفي أشعارهم قلة فذاك الذي آخرهم"<sup>٦٦</sup> ولا يتبع في ذلك منهجا واحدا، فأحيانا يذكر رأيه في الشاعر وأحيانا يستشهد بنماذج من شعره دون أن يبدي رأيه في شعره ومن هؤلاء الأربعة الذين ذكرهم في الطبقة السادسة<sup>٦٧</sup>. وكذلك شعراء الطبقة السابعة<sup>٦٨</sup>. وفي الطبقة الثامنة وصف النمر بن تولب بأنه فصيح جرى على المنطق وكان أبو عمرو يسميه (الكيس) لحسن شعره<sup>٦٩</sup> ويصف عون بن الخزرج بأنه جيد الشعر<sup>٧٠</sup>.

٦٥ طبقات فحول الشعراء ١٥٢/١ .

٦٦ نفسه ١٥٥/١ - ١٥٦ .

٦٧ نفسه ١٥١/١ - ١٥٢ .

٦٨ نفسه ١٥٥/١ - ١٥٧ .

٦٩ نفسه ١٦٠/١ .

٧٠ نفسه ١٦٤/١ .

ويقول عن سويد بن كراع من شعراء الطبقة التاسعة بأنه شاعر محكم<sup>٧١</sup> وعن سحيم عبد بني الحسحاس بأنه حلو الشعر<sup>٧٢</sup> أما شعراء الطبقة العاشرة فقد وصفهم بأنهم شعراء فقط دون نعت شعرهم أو ذكر أي تقرّظ له أو ثناء عليه ولم يصف غير عمرو بن شاس من شعراء هذه الطبقة فقد وصفه بأنه أكثر أهل طبقتة شعرا<sup>٧٣</sup>.

وقد تتفاوت الطبقات طولاً وقصراً وهذا يعزى للأخبار التي تصل إليه عن الشعراء فبعضهم أخبارهم كثيرة وبعضهم قليل الأخبار. ولو أنه اختصر الأخبار الطويلة ليكون هناك تناسب بين الطبقات لكان ذلك أفضل ولكنه أثر أن يثبت كل ما سمعه من أخبار لتعم الفائدة وربما تكون هناك أخبار لم تصل إليه ووصلت إلى غيره فلم يحجب ما وصلت إليه واكتفى بما معه من أخبار قليلة عن بعض الشعراء لأن آخرين غيره قد يزيدونها.

واستحدث ابن سلام طبقات أخرى مثل طبقة أصحاب المراثي كأنه يريد أن يقول أن تفضيله لهؤلاء الشعراء من أصحاب المراثي بسبب أجادتهم لهذا الغرض الشعري دون غيره وأشهر هؤلاء متمم بن نويرة. أما طبقة شعراء القرى العربية فقد هدف ابن سلام من ذلك إلى توضيح أثر البيئة على الشاعر والقرى التي عناها ابن سلام هي المدينة ومكة والطائف واليمامة والبحرين وأعلامها المدينة

<sup>٧١</sup> نفسه ١٧٦\١ .

<sup>٧٢</sup> نفسه ١٧٨\١ .

<sup>٧٣</sup> طبقات فحول الشعراء ١٩٦\١ .

وأفضل شعراء المدينة حسان بن ثابت ومع أن شعره كثير إلا أنه حمل عليه ما لم يحمل على أحد ولعل النحل يعزى إلى ما كان من مشاحنات وحزازات بين الأوس والخزرج قبل الاسلام. وتأثير البيئة في الشاعر يظهر في قوله أن قلة الشعر بالطائف سببه قلة حروبهم قال: "وبالطائف شعر وليس بالكثير وإنما يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء كحرب الأوس والخزرج... وكذا شعر قريش قليل للسبب ذاته قال: والذي قلل شعر قريش أنه لم تكن بينهم نائرة ولم يجاربوا" ٧٤. إذن شعر المدينة كثير يسبب حروب الأوس والخزرج في الجاهلية وشعر مكة والطائف قليل لقلة حروبهم، وهذا أمر قد لا يتفق معه بعض النقاد القدماء إذ أن الشعر الذي تثيره الحروب مواضيعه محددة وهناك أشعار أخرى لا علاقة لها بالحروب. وقد خالف الجاحظ ابن سلام بقوله: "وبنو حنيفة مع كثرة عددهم وشدة بأسهم وكثرة وقائعهم... ومع ذلك لم تر قبيلة قط أقل شعرا منهم" ٧٥. كذلك هناك إشارة إلي علاقة البيئة بلغة الشاعر فأشعار قريش كما يراها ابن سلام فيها لين فتشكل بعض الإشكال ٧٦، ذكر ذلك في نهاية حديثه عن أبي طالب عم النبي (صلى الله عليه وسلم) من شعراء مكة. وتحدث في موضع آخر

٧٤ نفسه ٢٥٩/١ .

٧٥ الحيوان ٣٨٠/٤ .

٧٦ طبقات فحول الشعراء ٢٤٥/١ .

عن عدى بن زيد وقال إنه "كان يسكن الحيرة... فلان لسانه وسهل منطقه" ٧٧.

### طبقات الإسلاميين

وستتناول طبقات الإسلاميين بشيء من الإيجاز فنوضح منهج ابن سلام في تفضيل شعراء الطبقة الأولى وهو الأهم فجرير والفرزدق والأخطل تجمعهم الطبقة مع الراعي النميري بيد أن الراعي لم يكن مثلهم وهذا ما نص عليه ابن سلام بقوله: "فاختلف الناس فيهم أشد الاختلاف وأكثره وعامة الاختلاف أوكله في الثلاثة ومن خالف في الراعي قليل كأنه آخروهم عند العامة" ٧٨. يريد عامة أهل العلم، بل إن من الناس من يجعل الاختلاف في جرير والفرزدق ويخرج الأخطل من حلبة السباق ومن أولئك بشار بن برد الذي قال إن الأخطل لم يكن مثلهما ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه ٧٩. لأن الفرزدق وجريرا تميميان من مضر والأخطل تغلبي من ربيعة ومعروف منذ الجاهلية التنافس علي الشرف والسيادة بين قبائل مضر وقبائل ربيعة.

لم يقرر ابن سلام أيهما أشعر اذا اعتبرنا أنه يوافق بشارا علي قوله أو أيهم أشعر فتارة يقول لك إن الناس لم يتفقوا علي أيهم أشعر ثم نجده أحيانا كأنه يميل الي الفرزدق عند ما يقول إن يونس والمفضل كانا يقدمان الفرزدق وأن جريرا

٧٧ نفسه ١٤٠/١ .

٧٨ نفسه ٢٩٩/٢ .

٧٩ نفسه ٢٧٤/٢ .

نفسه قال: "نبعه الشعر الفرزدق" ٨٠ كما فضله الراعي النميري ولهذا هجاه جرير ٨١. أما تفضيل الأخطل ففيه نظر لأنه كما ذكر ابن سلام فضل جريرا أول الأمر بقوله:

إن الفرزدق قد شالت نعامته وعضه حيه من قومه ذكر

لكنه عندما قدم الكوفة على بشر بن مروان بعث إليه محمد بن عمير بن عطار بدراهم وحملان وكسوة وخمر وقال له فضل شاعرنا عليه وسبه ففعل ٨٢. فهذا شاعر فضله أبناء طبقتة عدا المنافس له ولكن التفضيل في ذلك الزمان والمكان أي العصر الأموي والعراق فيه شبهه فالصراع السياسي والقبلي كان محتمدا في الكوفة والبصرة في ذلك العصر ولذلك فإنه غير مقبول بمقياس النقد لوجود الغرض فيه ماديا كان كما حدث الأخطل أو غير ذلك.

ومن الأشياء التي كان ابن سلام يعتبرها مقياسا لتفضيل الشاعر في هذه الطبقة وجود الأبيات المقلدة في شعر الشاعر ويبدو أن لجوء ابن سلام لهذا الأمر يعزى إلى صعوبة تفضيل شاعر علي آخر في هذه الطبقة ويعني بالبيت المقلد ذلك الذي يستغني بنفسه أو البيت المشهور الذي يجري مجرى المثل، والفرزدق كان أكثرهم أبياتا مقلده ذكر ابن سلام عددا منها، ومنها قوله:

٨٠ طبقات فحول الشعراء ٢٩٩/٢ .

٨١ نفسه ٢٥٤/٢ .

٨٢ نفسه ٤٥٢/٢ .



فيا عجباً حتى كليب تسبني كأن أباهما نهشل أو مجاشع<sup>٨٣</sup>  
ومن الأسباب التي تجعل النحويين يفضلون الفرزدق مداخلته في الكلام أو  
التقديم والتأخير ومن ذلك قوله:

وأصبح ما في الناس إلا مملكا أبو أمة حي أبوه يقاربه<sup>٨٤</sup>  
ولعل سر هذا الإعجاب هو ما يمدهم به من شواهد في التقديم والتأخير،  
لكن الأمر ليس كذلك تماماً فالمبرد وهو من أشهر نحاة البصرة وصف بيت  
الفرزدق بأنه قبيح بسبب ذلك التقديم والتأخير<sup>٨٥</sup> ووصف المرزباني هذا البيت  
بأنه من أقبح الضرورة وأهجن الألفاظ<sup>٨٦</sup>.

وإن كان النحويون يعجبون بشعر الفرزدق كان الشعراء وأهل البادية  
يشعر جريراً أعجب<sup>٨٧</sup>. وفضل جريراً غير واحد من أهل العلم فيونس يقول إن  
الفرزدق (وكان يفضل) كان يتصور ويجزع إذا أنشد لجريراً<sup>٨٨</sup>. وهذا يعني تأثير  
شعر جريراً وقوته، كذلك ذكر ابن سلام الأبيات المقلدة لكل من جريراً والأخطل  
لكن الفرزدق يتفوق عليهما في هذا المجال<sup>٨٩</sup>.

<sup>٨٣</sup> طبقات فحول الشعراء ٣٦٠\٢ - ٣٦١.

<sup>٨٤</sup> نفسه ٣٦٤\٢.

<sup>٨٥</sup> الكامل ١٨١\١.

<sup>٨٦</sup> المرشح ص ١٣٢.

<sup>٨٧</sup> طبقات فحول الشعراء ٢٧٥\٢.

<sup>٨٨</sup> نفسه ٢٧٧\٢.

<sup>٨٩</sup> نفسه ٤٩٢\٢.

والراجح أن ابن سلام كان يميل إلي من يقول إن الأخطل ليس مثلهما أما الراعي فقد نص هو نفسه أنه آخرهم<sup>٩٠</sup>. لكنه يري أيضا أن تفضيل أحدهم على الآخر (جرير والفرزدق والأخطل) ليس بالأمر السليم لاختلاف أذواق الناس فيونس كان يقدم الفرزدق بغير إفراط والمفضل يقدمه تقدمة شديدة<sup>٩١</sup>. وحين يعود ابن سلام إلي رأيه الذي أثبتته في حديثه عن طبقات الجاهليين وكيف أنه كان يعول على الجودة والكثرة في تفضيل الشاعر، نجده يفاضل بين الشعراء الثلاثة متغاضيا عن قول بشار هذه المرة فيثبت قول من قال: "الأخطل إذا لم يجيء سابقا فهو سكيت والفرزدق لا يجيء سابقا وسكيتا فهو بمنزلة المصلى وجرير يجيء سابقا وسكيتا ومصليا" ويفسر ابن سلام ذلك بقوله: "إن للأخطل خمسا أو ستا أو سبعا طوالا روائع غررا جيادا فهو بمن سابق وسائر شعره دون أشعارها فهو فيما بقى بمنزلة السكيت والسكيت آخر الخيل في الرهان، ويقال إن الفرزدق دونه في هذه الروائع وفوقه في بقية شعره فهو بمنزلة المصلى أبدا والمصلى الذي يجيء بعد السابق وقبل السكيت أما جرير فله روائع هو بمن سابق وأوسط هو بمن مصلى وسقسقات هو بمن سكيت"<sup>٩٢</sup>.

٩٠ طبقات فحول الشعراء ٢٩٩/٢ .

٩١ نفسه ٢٩٩/٢ .

٩٢ نفسه ٢٧٥/٢ .

لكن من قال بهذا الرأي حاول أن يجعل نقده علميا إحصائيا لكي يصل إلى تقديم جدير، وإثبات ابن سلام لهذا الرأي لا يعني أنه يوافق لأنه وكما سبق أن قررنا أنه لا يميل إلى التفضيل المطلق.

وإذا ما انتقلنا إلى الطبقة الثانية من الإسلاميين نجده يصف شعراءها بجودة الشعر فقد كان البعيث كما يرى ابن سلام شاعرا فاخر الكلام حر اللفظ، أما القطامي فهو شاعر فحل رقيق الحواشي حلو الشعر، وكثير عزة شاعر فحل ولكنه منقوص حظه بالعراق ويقدمه أهل الحجاز على شعراء الطبقة الأولى، وكان ذو الرمة أحسن أهل الإسلام تشبيها...<sup>٩٣</sup>. والملاحظ هنا أنه وصف شاعرين بالفحولة، فالفحولة عنده ليست مقصورة على الجاهليين كما كان يراها الأصمعي. وكان هذا المصطلح سائرا عند الإسلاميين ومشهورا بينهم والدليل على ذلك أن ذا الرمة قال للفرزدق عندما أثنى على شعره: ما لي لا أعد في الفحول؟ قال: يمنعك من ذلك صفة الصحارى وأبعاد الإبل...<sup>٩٤</sup>. فالشاعر الفحل في نظر الفرزدق هو الذي يخوض في الفخر والهجاء والمدح ولا يقتصر على غرض واحد فهو إن فعل ذلك هابه الناس وخافوا شره ولهذا جاء تشبيه الشاعر بالفحل حيث في الفحل من الإبل معنى القوة.

ويفترض أن يكون كل الشعراء الذين ورد ذكرهم في كتاب (طبقات فحول الشعراء) فحولا لكي يحمل الكتاب معنى عنوانه، لكن الفحولة عند ابن

<sup>٩٣</sup> طبقات فحول الشعراء ٥٢٤\٢ - ٥٥١ .

<sup>٩٤</sup> نفسه ٥٥٢\٢ .

سلام تختلف عن تلك التي عند الأصمعي، فالأصمعي جعلها محددة في عدد من الشعراء كما سبق أن بينا.

وقد وصف ابن سلام سحيم بن وثيل الرياحي من شعراء الطبقة الثالثة بأنه شاعر خنذيذ والخنذيذ أصله من فحول الخيل الجياد<sup>٩٥</sup>. وقال عن كعب بن جعيل بأنه شاعر مفلق أما عمرو بن أحمر فصحيح الكلام كثير الغريب<sup>٩٦</sup>. لعله لم يجد في شعره جودة لكنه شعر فصيح.

وبعد ذلك كان يترجم للشاعر دون أن يذكر شيئاً عن شعره وربما أثنى على بعض الشعراء وقرظ شعرهم في أحيان أخرى، فوصف عبيد الله بن قيس الرقيات بأنه كان غزلاً وهو في ذلك يتفوق على عمر بن أبي ربيعة وقال إن عمر كان يصرح بالغزل ولا يهجو ولا يمدح<sup>٩٧</sup>. لكنه لم يذكر عمر في طبقاته ولعل تصريحه بالغزل أو ابتعاده عن المدح والهجاء هو ما جعل ابن سلام يتجاهله، ولكننا نجد مرة أخرى يصف شاعراً بالهجاء كأنه ينفر من ذلك الغرض فقد وصف المتوكل الليثي بأنه كان رجلاً شريراً هجاء للناس وكان قليل المدح للملوك والوفادة إليهم ولم تكن له همة تدعوه وكانت همته ومركزه حراسان<sup>٩٨</sup>. وليس كل

٩٥ نفسه ٥٧٧/٢ .

٩٦ نفسه ٥٧٢/٢ - ٥٨٠ .

٩٧ طبقات فحول الشعراء ٦٤٩/٢ .

٩٨ نفسه ٦٩٢/٢ .

الهجاء مقبولا عند ابن سلام بل إن الهجاء ربما أحر الشاعر وربما قلة الطموح أيضا وعدم اندماجه في المجتمع ومشاركته في الحياة السياسية. وقد أحر الدجان وجعلهم في الطبقة التاسعة وهم مكثرون لكن الذي أحرهم هو اعتمادهم على وزن واحد والقصيد عنده أفضل من الرجز والشاعر أفضل من الرجز. وقد قال عن أبي النجم: "إنه ربما قصد فأجاد ولم يكن كغيره من الرجاز الذين لم يحسنوا أن يقصدوا"<sup>٩٩</sup> فالشاعر الفحل قد يكتب قصيدة في بحر الرجز بسهولة ويسر فيما يصعب على الرجز الكتابة في بحر الشعر الأخرى. ووصف رؤيه بأنه كان فصيحاً ولم يتفق مع قول من قال بأنه أفصح من أبيه العجاج<sup>١٠٠</sup>.

### خاتمة

نخلص من هذا إلى أن الأصمعي وابن سلام وضعا أسسا لتفضيل الشاعر على أضرابه ويمكن تلخيص كل ما ذكرنا في ما يلي:

- ١ - استعمل الأصمعي مقياس الفحولة فالشاعر أما فحل أو غير فحل ولم يكن الأصمعي يقصد بهذا المصطلح سوى أن الشاعر الفحل له مزية على غيره من الشعراء ولذلك خص بالفحولة عددا من الشعراء وحجبها عن غيرهم.
- ٢ - توسع ابن سلام في مسألة الفحولة فجعل الأربعين الذين وضعهم في طبقتي الجاهليين والإسلاميين كلهم فحولا فضلا عن الطبقات الأخرى التي

<sup>٩٩</sup> نفسه ٧٤٩/٢ .

<sup>١٠٠</sup> نفسه ٧٦١/٢ .

استحدثها، وهذا هو الأرجح لأنه سمي كتابه (طبقات فحول الشعراء) ومعلوم أن الأصمعي حجج الفحولة عن الإسلاميين.

٣ - استعمل ابن سلام مقاييس أكثر في تفضيل الشعراء أهمها مقياس الطبقات وفي داخل الطبقة الواحدة كان ابن سلام يميز بين شعرائها ويوازن بينهم ويقرض شعر بعضهم بعبارات مثل: شاعر محكم، شاعر مفلق، حلو الشعر... إلخ وقد كانت الموازنة واضحة جلية عندما تحدث عن شعراء الطبقة الأولى من الإسلاميين.

٤ - اعتمد الناقدان كلاهما على تفضيل بعض الشعراء في بعض الأغراض كتفضيل شاعر بعينه في وصف الفرس مثلاً.

٥ - اعتمد الناقدان كذلك على أن ما يجعل الشاعر مفضلاً على غيره هو جودة الشعر وكثرته.

٦ - هناك أشياء تقلل من منزلة الشاعر وربما أخرته عن طبقته عند ابن سلام أو حجبت عنه الفحولة عند الأصمعي منها إذا أكثر الشاعر في الهجاء والرفث من القول لكن يجب أن لا يغيب عن بالنا أن الصلاح والتقوى لا يقدمان الشاعر عندهما.

٧ - أشار الناقدان إلى مسألة النحل وقد فصل ابن سلام فيها أكثر وإذا كثر الشعر الموضوع في شعر الشاعر أخره ذلك لا ريب.

٨ - أشار ابن سلام إلى الشعراء المغلبيين أمثال تميم بن أبي بن مقبل وهذا الأمر أيضاً أثر عليهم أيضاً.

٩ - ذكر ابن سلام إلى أن الأعشى وهو من شعراء الطبقة الأولى من الجاهليين أول من سأل بشعره كما أنه ليس له بيت نادر مثل أصحابه فكأنه جعله آخر أهل طبقته، لكن الأصمعي حجب عنه الفحولة وربما للأسباب ذاتها التي ذكرها ابن سلام.

١٠ - أشار ابن سلام إلى تأثير البيئة في الشعر، فالشعر يقل في البيئة التي تقل فيها الحروب كما أنه تنبه إلى أن الشعراء الذين يقطنون في بلاد تتأخم بلاد العجم يلين شعرهم وكذلك الحال بالنسبة لمن يقطنون الحضر كقريش مثلاً.

## المراجع

- 1 - الجاحظ: الحيوان - القاهرة- 1945م
- 2 - أبو حاتم السجستاني: سؤالات أبي حاتم الأصمعي وردة عليه "فحولة الشعراء" القاهرة - 1994م
- 3 - ديوان جرير
- 4 - ديوان الفرزدق - بيروت- ط 1987م
- 5 - ابن رشيقي القيرواني: العمدة - بيروت- 1981م
- 6 - الزبيدي: تاج العروس - بيروت- 1994م
- 7 - ابن سلام: طبقات فحول الشعراء - القاهرة- 1974م
- 8 - الفيروز آبادي: القاموس المحيط - بيروت- 1995م
- 9 - المبرد: الكامل